

# لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عقيدة وشريعة  
ومنهاج حياة

محَمَّد بن عبد الله بن قتيبة

دار الشروق



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ  
وَمِنْهَا حَيَاةٌ

جميع حقوق الطبع محفوظة  
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

© دار الشروق  
أسسها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٠ ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣  
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ ( ٠٢ ) تليكس SHROK UN ٧١09١  
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٥٥٥  
فاكس ٨١٧٧٦٥ - تليكس SHOROK 20175 LE

محلّ قطب

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عقيدة وشريعة  
ومنهاج حياة

دار الشروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ،  
وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ﴾

صدق الله العظيم

## مُقَدِّمَة

كتبت من قبل أكثر من مرة عن « لا إله إلا الله » . . ما مدلولها الذي جاءت به من عند الله ؟ وكيف فهمها الجيل الذي رباه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على مفهومها الصحيح ؟ وكيف انحسر مفهومها خلال الأجيال المتعاقبة حتى صارت في حس كثير من المتأخرين مجرد كلمة تنطق باللسان ؟ وكيف ينبغي أن تعاد إليها شحنتها الكاملة وحيويتها الشاملة ، لكي تعود الأمة إلى حقيقة الإسلام ، وتحقق رسالتها التي أخرجها الله من أجلها ، فيتحقق لها موعود الله ؟ :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾<sup>(٣)</sup>.

كتبت عن ذلك مبكراً في كتاب «هل نحن مسلمون»<sup>(٤)</sup> ثم في كتاب « واقعنا

---

(١) آل عمران . ١١٠

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(٣) النور : ٥٥ .

(٤) صدرت طبعته الأولى عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

















وبهذا وحده نحقق الوجود الذى نرجوه للأمة الإسلامية ، ونحقق الخيرية التى كتبها الله لهذه الأمة حين تقوم برسالتها على وجهها الصحيح :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أجل بيان هذه الحقيقة ، حقيقة الشمول فى المنهج الربانى المتمثل فى لا إله إلا الله ، كتبت هذه الصفحات . .

اللهم إن يتحقق بها شيء من النفع فهو فضلك الذى أنعمت به علىّ ، وإلا فبحسبى نيتى أحسبها عند الله :

﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ﴾<sup>(٢)</sup>.

محمد قطب

---

(١) آل عمران . ١١٠ .

(٢) هــورد : ٨٨ .



























أخرجت للناس ، ولتكون شاهدة على الناس إلى يوم القيامة :  
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الفصول التالية تفصيلٌ لمقتضيات لا إله إلا الله كما جاءت في رسالة الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

## مقتضيات لا إله إلا الله في الرسالة المحمدية

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾<sup>(١)</sup>.

كان في تقدير الله أن تكون الأمة التي تحمل الرسالة الخاتمة هي أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأن تكون هذه الرسالة موجهة إلى البشرية كافة ، وأن يكتمل فيها الدين ، وأن تتسع لكل احتياجات البشرية إلى قيام الساعة . . وأن يكون هذا كله مرتبطاً في حياتها بلا إله إلا الله . .

إن لا إله إلا الله - كما رأينا في التمهيد السابق - تعنى عبادة الله وحده بلا شريك ، والالتزام بما جاء من عند الله . ورأينا في التمهيد كذلك أن مقتضيات هذا الالتزام قد ظلت تنمو مع نمو البشرية - وإن بقى المبدأ واحداً لا يتغير - حتى جاءت الرسالة الخاتمة ، فبلغت المقتضيات نموها الأخير ، وقال تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتعددت هذه المقتضيات وتشابكت ، لتشمل جوانب الحياة كلها ، ولتشملها متكاملة مترابطة ، فأصبحت هي منهاج الحياة الذي يريد الله للبشرية أن تسير عليه ، لتنعم به في الدنيا ، وتنال رضوان الله في الآخرة ، يوم يقول الله لهم : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الأنعام : ١٣٤ . (٢) المائدة : ٣ . (٣) المائدة : ١١٩ .





































































































































ليتعامل مع رزق الله بما يرضى الله . . ولن يصنع ذلك حتى يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويرتب أمور حياته على أساس هذا الإيمان !

وخذ مثالا آخر ما يتصامحون به من أخطار الانفجار السكاني سنة ٢٠٠٠ ، أو في القرن الحادى والعشرين !

والعلم . . العلم البحث ذاته . . يقول : إن ما استغل من خيرات البحار حتى اليوم لايزيد على عشر ما يمكن أن يستخرج منها ، وإن الأرض يبابسها ومائها تتسع لأضعاف أعداد البشر الذين يسكنونها اليوم ، حين يحسنون استغلالها . . إنما هى صيحات خبيثة يطلقها الرجل الأبيض ، ليطالب الرجل الملون بتحديد نسله المتزايد ، لكى لا يزاحمه فى متعته الفاجرة التى اختلسها فى غفلة من الرجل الملون ، والتى يخشى اليوم ضياعها حين يثور الرجل الملون ذو النسل المتزايد على من سلب أوقاته ، ويطالبه برفع يده عن مقدراته . . وتأخذ الصيحة الخبيثة شكل « العلم الموضوعى » ، وتدرس فى الجامعات !

وخذ مثالا من علم النفس . .

يدعى علماء النفس اليوم أنهم أصبحوا « تجريبيين » . . ومن ثم فالتائج التى يصلون إليها نتائج « علمية » « موضوعية » تؤخذ بالتسليم كما تؤخذ العلوم البحتة . .

ويضع المفكر المسلم أمام ذلك ثلاثة اعتراضات « علمية » . .

الاعتراض الأول : أى عناصر الكيان النفسى هى التى يمكن إدخالها المعمل ، وإجراء التجارب عليها ؟ أهى الأمور الحسية ، أو القرينة من الحسية ، أم هى الأمور المعنوية ، وعالم القيم ، وهى أثمن ما فى الإنسان ؟

خذ إنسانا كان ملحدًا ثم آمن . . ما الذى يستطيع المعمل التجريبي أن يجريه عليه من التجارب ؛ ليستخلص حقيقة الإيمان ، وكيف يتم فى داخل النفس ، وكيف يؤثر فى المشاعر والأفكار والتصرفات ؟!

الاعتراض الثانى : إنه من المسلم به فى التجربة « العلمية » أن تكون العينة المفحوصة ممثلة للنوع ، حتى يمكن تعميم النتائج المستخلصة منها على النوع كله . فهل يتحقق هذا فى تجارب علم النفس .

ودع عنك الآن ما يحدث من عشوائية فى اختيار العينة ، مقصودة لأهداف « علمية » ! فمن أين نختار عيناتنا ؟ أليس من هذا الجيل الذى يعيش اليوم على سطح الأرض ؟ فهل

هذا الجيل - في اهتماماته وقيمه وتوجهاته وأفكاره ومشاعره وأخلاقياته - يمثل النوع البشرى كله خلال الأجيال كلها ، حتى تكون النتائج المستخلصة من التجارب المجراة عليه صالحة لإطلاقها على النوع البشرى كله ، وتفسير الكيان النفسى « للإنسان » على أساسها ؟  
وما قولهم في جيل الصحابة - مثلاً - رضوان الله عليهم ؟ أليسوا واقعاً بشرياً يمكن أن تستخلص منه « معلومات » عن النفس الإنسانية في حالة رفعتها وصفائها ؟  
والاعتراض الثالث : أنه إذا كان علم النفس قد أصبح علماً بحثاً كما يزعمون ، فلماذا تختلف مدارس علم النفس المختلفة في تفسير التجربة العملية الواحدة . . وفى نفس الجيل ؟

كلا ! ما أبعد علم النفس عن أن يكون علماً بحثاً ، وما أبعد النتائج المستخلصة من تجاربه الحالية عن أن تعطى تفسيراً شاملاً للكيان النفسى فى شموله وترابطه وتكامله . .  
وخذ علم التاريخ . .

إن الوقائع التاريخية قد تتفق ما بين مؤرخ ومؤرخ إذا تحدث المصادر المتاحة لتحقيق الواقعة والتقت وجهات النظر فى درجات وثاققتها . .

ولكن المهم فى دراسة التاريخ ليس تحرير الوقائع فحسب ، إنما الأهم من ذلك تفسيرها ، ثم إصدار الحكم عليها . وهنا تختلف المناهج فيما بينها بحسب نظرتها إلى « الإنسان » . . ما هو ؟ ما تكوينه ؟ ما حدود طاقاته ؟ ما دوره فى الأرض ؟ ما العوامل المؤثرة فيه ؟ ما موقفه من الضغوط الواقعة عليه ؟ ما السنن الجارية فى حياته ؟

وهنا يبرز المؤرخ المسلم بمنهجه الخاص ، المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، ويكون له تفسيره الخاص للأحداث ، وتقويمه الخاص للإنجاز البشرى حسب معايير الخاصة<sup>(١)</sup> . . وليس أقل الخلاف بينه وبين غيره من المؤرخين أن يسمى الأشياء بأسمائها فى المصطلح الإسلامى ، فما قال الله عنه إنه جاهليات هو فى عرف التفسير الإسلامى للتاريخ جاهليات ، وإن سميت « حضارات » فهى « حضارات جاهلية » على أى حال ، ومن ثم يقول المؤرخ المسلم : الجاهلية الفرعونية ، والجاهلية الرومانية ، والجاهلية الإغريقية ، والجاهلية الفارسية ، والجاهلية الهندوكية ، والجاهلية البوذية . . الخ ولا يكون

---

( ١ ) اقرأ إن شئت « حول التفسير الإسلامى للتاريخ » .

الإنجاز المادى وحده ، ولا الحربى وحده ولا العلمى وحده هو المعيار الأول لتقويم إنجازات الإنسان فى كل تلك « الحضارات » . . إنما يكون هناك معيار مقدم على هؤلاء جميعًا : هل أدى الإنسان غاية وجوده التى خلق من أجلها : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) .  
ونخذ الأدب . .

إن للمسلم منهجًا خاصًا فى التعبير ، وفى تقويم الإنتاج الأدبى والفنى ، يستمد عناصره من التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان ، ويلتزم بالقيم الإسلامية . . ويتميز عن غيره من مناهج التعبير ومناهج التقويم التى لا تلتزم بشيء على الإطلاق ، والتى تقول الفن للفن ، والحياة للحياة ، وتسفّ - تحت هذه الشعارات - ما شاء لها الإسفاف (٢) . .

\* \* \*

لا تتسع هذه العجالة للحديث المفصل . . إنما هى إشارات . .  
والقصد من هذه الإشارات هو التركيز على نقطة بعينها . . هى اتصال هذه الأمور كلها بلا إله إلا الله . .

إن هناك مقتضى فكريًا للا إله إلا الله ، يجعل المسلم يفكر بمنهج معين ، لا يختلط بمناهج التفكير الجاهلى ، وإن التقت بعض جزئيات تفكيره مع أفكار غيره ، فيما يتعلق بالحقائق العلمية والتجارب العملية ، ولكن المسلم يتناولها بطريقة الخاصة ، ويعطيها تفسيرها المستمد من مقررات الكتاب والسنة . .

أما العلوم التى تتصل « بالإنسان » . . وتعتمد أساسًا على التصور الذى نتصوره عنه ، فالمسلم ينفرد فيها بتصوره الخاص ، المستمد من الحقائق الكبرى المذكورة عن الإنسان فى كتاب الله : أنه قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله . وأنه نشأ إنسانًا من أول لحظة ، ولم يكن قط حيوانًا ثم تطور . وأنه وهب المواهب التى تصلح للمهمة التى أنشأه الله من أجلها ، وأهمها الوعى والإرادة والحرية ، وأن له طريقين لا طريقًا واحدًا ، وله

---

( ١ ) الذاريات : ٥٦ .

( ٢ ) ستحدث فى فقرة تالية عن « المقتضى التعبيرى » للا إله إلا الله .



إن العالم الملحد ، والعلم الإلحادى ، موجود يملأ ساحة الأرض . والذى تحتاج إليه البشرية لتنجو من الدمار ليس مزيدًا من ذلك العلم ولا أولئك العلماء . إنما تحتاج البشرية إلى العلم الإيمانى ، وإلى العالم المؤمن . . وهذا هو الذى ينشئه المنهج الإسلامى ، والذى سميناه هنا « المقتضى الفكرى » للا إله إلا الله . .

لقد كانت الأمة الإسلامية - يوم كانت حقًا - أمة عالمة ، بل كانت هى الأمة العالمة فى الأرض ، ومنها تعلمت أوروبا كثيرًا من العلوم ، وتعلمت المنهج التجريبي فى البحث العلمى . ولكنها كانت دائمة تؤمن بالغيب . . وهذه ميزتها : الإيمان بعالم الغيب وعالم الشهادة فى آن واحد ، بلا تناقض ولا صدام . .

### سادسًا : المقتضى الحضارى

نتحدث كثيرًا عن الحضارة التى أنشأتها الأمة الإسلامية فى وقت ازدهارها ، سواء فى المشرق أو المغرب ، وخاصة فى الأندلس ، ونعدد مزاياها ، وما تفردت به عن غيرها ، وما تلاقت فيه مع غيرها ، وما برع المسلمون فى أدائه ، وما أثروا به فى نهضة أوروبا . .

نتحدث عن ذلك كله على أنه من نتاج الإسلام ، ونحن صادقون فى ذلك ، فإن الأمة التى حملت الإسلام لم تكن لها قبل إسلامها مشاركة تذكر فى شئون الحضارة ، ثم صارت بعد إسلامها مصدرًا من مصادر الحضارة فى الأرض . .

ولكن الذى أريد أن أبرزه هنا ليس هذا المعنى الذى أشرت إليه فى أكثر من كتاب . . إنما أريد أن أقول إن ما حدث من الأمة المسلمة من إنتاج حضارى لم يكن أمرًا تطوعيًا تقوم به الأمة إن شاءت وتركه إن شاءت ، إنما كان مقتضى من مقتضيات لا إله إلا الله ، تلتزم الأمة الإسلامية بأدائه ، وتلام إذا لم تقم به ، لأنها - إن لم تقم به - تكون مقصرة فى أداء أحد التكاليف التى كلفها الله بها وهو ينزل عليها مقتضيات لا إله إلا الله . .

ولقد أشار الغزالي إلى هذا المعنى حين أشار إلى فروض الكفاية ، التى تأثم الأمة إذا لم يقيم بها أحد من أبنائها ، ويسقط عنها الإثم إن قام بها من يحسن القيام بها . . الإنتاج الحضارى هو - على أقل تقدير - من فروض الكفاية المفروضة على الأمة ، وإن

كنت أرى أن بعض جزئياته هي من فروض العين ، التى يلزم أن يقوم بها كل إنسان يشهد أن لا إله إلا الله . .

ولننظر من أين أتى التكليف ، وكيف صار جزءاً من مقتضيات لا إله إلا الله .

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور ﴾<sup>(٥)</sup> .

كلها تكاليف - صريحة أو ضمنية - موجهة إلى « الإنسان » ، الذى جعله الله خليفة في الأرض . . وكلها من مهام الخلافة التى خلق الإنسان من أجلها . . وأبرزها عمارة الأرض . .

فإذا كان هذا تكليفاً للإنسان عامة ، الذى جعله الله خليفة في الأرض ، وجزءاً من مهامه في الأرض ، فمن أولى الناس أن يقوم بالتكليف ؟ إنه ولا شك « الخليفة الراشد » ، المؤمن بالله ، الملتزم بما جاء من عند الله . .

ولكن المهم في التزام الإنسان المؤمن ، ليس فقط أن يقوم بعمارة الأرض ، فهذا يقوم به الكافر كذلك ، ولكن أن يقوم بعمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى . . وهذا - بالذات - هو المقتضى الحضارى للا إله إلا الله . .

\* \* \*

إن الإنسان مدفوع بفطرته إلى الإنتاج . . الإنتاج الحضارى بالذات . . إنه مفطور على الرغبة في « تصنيع » المادة الخام التى يجدها من حوله في الأرض ، وتلك إحدى مزاياه التى تفرد بها عن الحيوان الذى يتناول الخامات على حالها ، وإن استخدمها

---

(١) البقرة : ٣٠ . (٢) هود : ٦١ . (٣) الجاثية : ١٣ .

(٤) الإسراء : ١٢ . (٥) الملك : ١٥ .

























































































































































